تدوين الحديث النبوي
الحقائق العلمية الثابتة والجواب
عن الشبهات المثارة

إعداد
د. إدريس خرشفي
المغرب

الملخص

إن الطابع العام الذي ساد الجزيرة العربية قبل البعثة وبعدها هو الاعتماد على الذاكرة الشفوية لتحصيل المسموعات وروايتها .وهو نفس الطابع الذي أفاد منه جيل الصحابة لتحصيل نصوص الوحي : قرآنا وسنة .

كما تميزت هذه المرحلة التاريخية من حيث وسائل الكتابة بالندرة والمحدودية وقلة من كان يتقن الكتابة من عموم الناس وخصوص المسلمين الأُول..

ومع هذا فإن تدوين الحديث النبوي كان موجودا ومنتشرا في المراحل الأولى من الدعوة الإسلامية قبل الهجرة وبعدها وجودا وانتشارا يتناسبان وطبيعة المرحلة وخصائص الطور ، بحيث لا يُمكن أن يُدعى أن التدوين للحديث النبوي لم يكن له وجود في هذه المرحلة أو أنه ظهر في زمن متأخر من العصر النبوة.

ذلكم أن الوثائق الحديثية والتاريخية الثابتة شاهدة على هذا الوجود المبكر. أما النهي عن التدوين للحديث فلم يكن عاما مستغرقا لجميع الأفراد والمناسبات . بل كان خاصا . ثم ما لبث أن أصبح مواكبا تمام المواكبة لتدوين القرآن الكريم مسايرا لتطور الوقائع والحوداث .

ويحاول هذا البحث الكشف عن الإرهاصات الأولى لتدوين الحديث النبوي قبل الهجرة وبعدها .كشفا يساير التطور التاريخي ويتابع امتداد التدوين في حياة الصحابة والتابعين .

كما يحاول هذا البحث بهذه التقارير العلمية الجواب عن الشبهات المثارة بهذا الشأن والتي تروم التشكيك في وجود تدوين الحديث النبوي .

ولا يقصد البحث أن يرصد كل الشبهات التي أُثيرت في القديم والحديث حول تاريخ هذا العلم الشريف ، بل يروم أن يكتفي بالرد عن شبهة واحدة هي دعوى انتقال الحديث النبوي في مراحله التاريخية الأولى شفويا ليس إلا من غير استناد إلى النقل المكتوب ، مع ما يورده هؤلاء المشككون على النقل الشفوي أو الحفظ من تشكيك .

والاكتفاء برد هذه الشبهة فحسب هو من باب الاختصار والتركيز الذي يقتضيه المقام . وإلا فإن غير هذه الشبهة من الشبهات المثارة في هذا الباب قد أُجيب عنها بما يغني ويكفي.(١)

(١) قلت : ممن ألف في هذا المجال أذكر : محمد أبو شهبة في كتابه: " دفاع عن السنة ورد شبه

وتتوزع الأقسام الخمسة الآتية الكلام في هذا الموضوع :

أولا .أدوات الكتابة في الجاهلية والإسلام.

ثانيا. المكتوبات في المرحلة المكية من تاريخ الحديث النبوي .

ثالثا. المكتوبات في المرحلة المدنية من تاريخ علم الحديث النبوي .

رابعا. تدوين الحديث النبوي في عصر الصحابة والتابعين .

خامسا. استقرار الحديث النبوي في مصادره وأصوله الأولى .

الكلمات المفتاحية : (تدوين – حقائق- جواب – البعثة-الشبهات)

المستشرقين والكتاب المعاصرين " والعلامة عبد الرحمان بن يحي المعلمي في كتابه: « الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء عن السنة من الزلل والتضليل والمجازفة"» وغيرهم كثير.

أولا .أدوات الكتابة في الجاهلية والإسلام .

استعمل الناس في هذه المرحلة ما كان متاحا لهم من أدوات مستمدة من الكون من حولهم .

فكتبوا بها أشعارهم ورسائلهم وقد أعدوا ما وجدوا إعدادا لعملية الكتابة مستثمرين هذه الأدوات والوسائل كما سأبين بعد حين ..

ومما أخبرنا عنه القرآن مما كُتب زمن نبي الله سليمان كتابه الذي أرسله إلى ملكة بلقيس ملكة سبأ . قال ربنا سبحانه وتعالى إخبارا عنها :» قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ» [1] قال ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ) :» حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا صَفْوَانُ، ثنا الْوَلِيدُ، ثنا زُهَيْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: {إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ} «أَشْفَقَتْ مِنْهُ تُرِيدُ مَخْتُومًا، وَكَذَلِكَ الْمُلُوكُ تَخْتِمُ كُتُبَهَا لَا تُجِيزُ بَيْنَهَا كِتَابًا إِلَّا بِخَاتَمٍ»[2]

ولاشك أن الكتاب دُون باستعمال ما كان مستعملا وقتئذ للكتابة والتدوين.

وينطبق الأمر نفسه على معرفة أهل الكتاب بالنبي ﷺ قال تعالى : ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[3]

فهذا المكتوب الذي قام مقام الحجة والبرهان على أهل الكتاب كُتب بما كان مستعملا في زمانهم وتناقلته الأجيال خلفا عن سلف...

وكذلك كتب شعراء العصر الجاهلي معلقاتهم المشهورة وعلقوها على أستار الكعبة على قول من يقول بهذا الرأي [4].

---

(١) النمل الآية : ٢٩.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٢٨٧٢/٩.

(٣) قلت : التعبير بالوجادة في هذه الآية دليل على استعمال هذا الطريق من طرق النقل عندهم . والوجادة كما هو معلوم أدنى طريق في التحمل عند المحدثين.والآية في سورة الأعراف الآية : ١٥٤.

(٤) قال ابن عبد ربه في العقد الفريد :» ... قد مضى قولنا في أيام العرب ووقائعها وأخبارها، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه، إذ كان الشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها، والمقيّد لأيامها، والشاهد على حكامها، حتى لقد بلغ من كلف العرب به، وتفضيلها له، أن عمدت إلى سبع قصائد تخيّرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطيّ المدرجة، وعلقتها بين أستار الكعبة، فمنه يقال: مذهبة امريء القيس، ومذهبة زهير. والمذهبات سبع، وقد يقال لها المعلقات» ١١٨/٦. وأنكر هذا الرأي كثير من المؤرخين؛ وأقدم من أنكره (أبو جعفر النحاس ت ٣٣٨)

ولما نزل الوحي ووردت السنة استُعملت نفس هذه الأدوات في كتابة وتدوين نصوص الوحيين .ومما نُقل إلينا من هذه الأدوات:

العُسُب [١]، اللخاف[٢]، الرقاع [٣]، الأضلاع، الأكتاف، قطع الأديم [٤]، القُضُم [٥]، الظرر[٦]، الكرانيف [٧]. الأقتاب[٨]. القراطيس [٩]. الصحف [١٠]، الألواح[١١]

ونجد حضور هذه الأدوات فيما نُقل إلينا من نصوص موثقة لهذه المرحلة من مراحل تاريخ الحديث النبوي خاصة ونصوص الوحي عامة. قال سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه حين كُلف بجمع القرآن الكريم :» ... فَقُمْتُ فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرِّقَاعِ وَالأَكْتَافِ وَالْعُسُبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ ..» [١٢]

وفي هذه الوثيقة الدليل على المزاوجة بين الكتابة والحفظ نقلا لنصوص الوحي وحفظا لهما.

وفي رواية أخرى عند الإمام البخاري :» فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ/ يَعْنِى الْحِجَارَةَ الرِّقَاقَ[١٣]/ وَصُدُورِ الرِّجَالِ..» [١٤]

---

(١) العُسُبِ وهو جَمْعُ العسيبِ وهو سَعَفُ النَّخْلِ. وسعف النخل أوراق شجرة النخيل المتفرعة وهي ريشية الشكل وخشنة الملمس وذات أطراف حادة، يسمى أيضاً جريد النخلة

(٢) الحجارة الرقاق .

(٣) جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق..

(٤) الأديم هو الجلد وسيأتي بسط الكلام فيه.

(٥) قال في النهاية :» والقُضُم هي الجلود البِيض واحدها : قَضيم ويُجمع على : قَضَمٍ أيضاً بفتحتين كأدِيم وأدَم .(مادة : قضم)

(٦) قال في الفائق :» الظُّرر : حجر صُلْب مُحددَّ وجمعه ظرار وظِرَّان(٣٧٥/٢)

(٧) الكرانيف: أُصُولِ السَّعَفِ الْغِلَاظِ، وَاحِدُهَا «كِرْنَافَةٌ».

(٨) فالأقتاب: جمع قتب -بفتحتين أو بكسر فسكون- وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير

(٩) جمع قرطاس وسيأتي الكلام عليه.

(١٠) جمع صحيفة وهي كتاب مما ذكر من أدوات..

(١١) قال في اللسان : اللَّوْحُ كلُّ صَفِيحة عريضة من صفائح الخشب ... والكَتِف إذا كتب عليها سميت لَوْحاً(مادة : لوح)

(١٢) الجامع الصحيح رقم الحديث : ٤٦٧٩

(١٣) قلت : هذه زيادة في رواية الترمذي للخبر (رقم ٣٣٨٦)

(١٤) الرواية رقم : ٤٩٨٦.

ومما يشهد لاستعمال :» الأديم « في تدوين الحديث النبوي ما رواه الإمام مسلم رحمه الله بإسناده عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ (١) خَطَبَ النَّاسَ فَذَكَرَ مَكَّةَ وَأَهْلَهَا وَحُرْمَتَهَا وَلَمْ يَذْكُرِ الْمَدِينَةَ وَأَهْلَهَا وَحُرْمَتَهَا فَنَادَاهُ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ (٢) فَقَالَ مَا لِي أَسْمَعُكَ ذَكَرْتَ مَكَّةَ وَأَهْلَهَا وَحُرْمَتَهَا وَلَمْ تَذْكُرِ الْمَدِينَةَ وَأَهْلَهَا وَحُرْمَتَهَا وَقَدْ حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا وَذَلِكَ عِنْدَنَا فِي أَدِيمٍ خَوْلاَنِيٍّ (٣) إِنْ شِئْتَ أَقْرَأْتُكَهُ.» (٤)

ثانيا .المكتوبات في المرحلة المكية من تاريخ الحديث النبوي .

أقدم فيما يأتي نخبة مما وصلنا من مدونات ومكتوبات في المرحلة المكية من تاريخ علم الحديث النبوي . والتعبير بالبعض دون الكل احترازا من التعميم ، إذ لا نملك أن نجزم بأن ما في بطون المصادر والمظان المتخصصة هو الذي يعبر عن حقيقة المرحلة من حيث عدد النصوص ونوعيتها.

وعسى أن تكشف قابل الأيام عن النصوص والروايات التي ما تزال محجوبة عن أنظار الباحثين الذين يسعون لإقامة :» الشخصية النصية «(٥) لهذه المرحلة الهامة من تاريخ علم الحديث النبوي .

(١) مَروان بن الحَكَم بن أبِي العاص القُرَشيّ مروان بن الحكم بن عبد مناف القرشيّ الأمويّ، أبو عبد الملك. وهو ابن عم عثمان، وكاتبه في خلافته. ولد بعد الهجرة بسنتين هو رابع خلفاء الدولة الأموية في دمشق. هو مؤسس الدولة الأموية الثانية بعد انتقال الخلافة من البيت السُّفياني إلى البيت المَرواني، كانت مدّته في الخلافة قدر نصف سنة، ومات في شهر رمضان سنة خمس وستين

(٢) رافع بن خُديج ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاريّ الأوسي، الحارثي.. عرض على النّبيّ ﷺ يوم بدر فاستصغره، وأجازه يوم أحد، فخرج بها وشهد ما بعدها.
وروى عن النّبيّ ﷺ وعن عمه ظهير بن رافع.. واستوطن المدينة إلى أن انتقضت جراحته في أول سنة أربع وسبعين فمات، وهو ابن ستّ وثمانين سنة وكان عريف قومه بالمدينة..(الإصابة ٣٦٢/٢. ٣٦٣)

(٣) قال في مطالع الأنوار :» «أَدِيمُ خَوْلَانِيٌّ جلد ينسب إلى خولان من اليمن..(باب الخاء مع الواو).

(٤) صحيح مسلم باب فَضْلِ الْمَدِينَةِ وَدُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا بِالْبَرَكَةِ وَبَيَانِ تَحْرِيمِهَا وَتَحْرِيمِ صَيْدِهَا وَشَجَرِهَا وَبَيَانِ حُدُودِ حَرَمِهَا. الحديث رقم : ٣٣٨٢.

(٥) قلت : أقصد بالشخصية النصية تلكم النصوص المجتمعة الكاملة التي توثق للمرحلة .

١. تدوين سورة طه في كتاب.

روى ابن سعد وغيره قصة إسلام عمر بن الخطاب في العام الخامس أو السادس من البعثة النبوية ، ومما جاء فيها :» ... فلمّا يئس عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه. قال: وكان عمر يقرأ الكتب...» (١)

والقصة مع ما في إسنادها من كلام نقدي تبقى شاهدا من الشواهد على وجود الكتابة والتدوين بين المسلمين في مرحلة مبكرة من تاريخ الإسلام . ذلكم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان عارفا بكتابة الخط العربي ، وكان من أسلم وقتئذ قد حصل على سورة طه ـ أو قطعة منها ـ في كتاب..

ومن شواهد معرفة عمر بن الخطاب بالكتابة ما رواه الخطيب البغدادي بإسناده أن عمر بن الخطاب قال ... انطلقت أنا فانتسخت كتابا من أهل الكتاب ثم جئت به في أديم فقال لي رسول الله ﷺ ما هذا في يدك يا عمر ؟ قال : قلت يا رسول الله كتاب انتسخته لنزداد به علما إلى علمنا. فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه ثم نودي بالصلاة جامعة. فقالت الأنصار : أغضب نبيكم ﷺ السلاح السلاح. فجاؤا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال : يا أيها الناس إني أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه واختصر لي اختصارا ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا ولا يقربكم المتهوكون. قال عمر : فقمت فقلت رضيت بالله ربا وبالإسلام» (٢)

٢.كتاب رسول الله ﷺ إلى ملك الحبشة.

تذكر المصادر أنه بعد الهجرة الأولى إلى الحبشة في العام الخامس من البعثة كتب رسول الله ﷺ إلى ملك الحبشة يوصيه خيرا بمن حل ببلده.. ومما جاء فيه :».. وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ ابْنَ عَمِّي جَعْفَرًا وَنَفَرًا مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا جَاءَكَ فَأَقِرَّهُمْ، وَدَعِ التَّجَبُّرَ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ، فَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ، فَاقْبَلُوا نُصْحِي، وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى.(٣)

---

(١) الطبقات الكبرى ٢٤٨/٣ والرواية ضعيفة؛ لأن في إسنادها الْقَاسِمَ بْنَ عُثْمَانَ الْبَصْرِيّ. وقد صحح الحاكم في مستدركه هذه الرواية غير الحافظ الذهبي تعقبها بقوله : قد سقط منه وهو واه منقطع.(المستدرك ٦٦/٤) وتفصيل الخبر أنه بلغ عمر أن اخته وزوجها أسلموا فقصد بيتهما فوجدهم يقرأون سورة :» طه « في كتاب...الخ

(٢) تقييد العلم ص : ٥٢.

(٣) قلت : في هذا المقطع من النص دليل على أن الكتاب كان في الهجرة الأولى الى الحبشة في أواسط

فكتب النجاشي إلى رسول الله ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، مِنَ النَّجَاشِيِّ الأَصْحَمِ ابْنِ أَبْجَرَ سَلامٌ عليك يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، مِنَ اللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ، الَّذِي هَدَانِي إِلَى الإِسْلامِ أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا ذَكَرْتَ مِنْ امر عيسى.. وَإِنْ شِئْتَ أَنْ آتِيَكَ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ مَا تَقُولُ حَقٌّ، وَالسَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ..»[1]

وفي هذا المقطع من النص دليل على أن الكتاب كان في الهجرة الأولى الى الحبشة في أواسط المرحلة المكية من الدعوة الإسلامية .

ومعلوم أنه ﷺ لم يكن يحسن الكتابة ولا يعرفها فقد نفى عنه رب العزة المعرفة بها : ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[2] وما نسب له ﷺ من كتابة ومن ذلكم قوله كما في الرواية السابقة :» كتب رسول الله ﷺ « فتلكم نسبة مجازية تقديرها :» أمر من يحسن الكتابة فكتب «

وأما رواه البخاري في قصة صلح الحديبية ومما جاء فيه :» .. فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكِتَابَ ، وَلَيْسَ يُحْسِنُ يَكْتُبُ ، فَكَتَبَ هَذَا مَا قَاضَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ..» [3]

قال أبو جعفر السمناني (ت٤٤٤هـ) :».. فيحمل على أن النكتة في قوله :» فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب « لبيان أن قوله :» أرني إياها « أنه ما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التي امتنع علي من محوها إلا لكونه كان لا يحسن الكتابة ، وعلى أن قوله بعد ذلك :»فكتب « فيه حذف تقديره : فمحاها فأعادها لعلي فكتب» ..

وأطلق :» كتب « بمعنى أمر بالكتابة وهو كثير كقوله :» كتب إلى قيصر وكتب إلى كسرى». وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة أن يصير عالما بالكتابة ويخرج عن كونه أميا فإن كثيرا ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات ويحسن وضعها بيده وخصوصا الأسماء ولا يخرج بذلك عن كونه أميا ككثير من الملوك. ويحتمل أن يكون جرت يده بالكتابة حينئذ وهو لا يحسنها فخرج

المرحلة المكية من الدعوة الإسلامية .

(١) تاريخ الطبري ٦٥٢/٢. ٦٥٣

(٢) سورة العنكبوت الآية : ٤٨.

(٣) قلت : هذا طرف من رواية في البخاري توثق بعض مشاهد صلح الحديبية (رقم الرواية : ٤٢٥١) وفيها أن سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو اعترض على صيغة إثبات الرسالة للنبي ﷺ فبدل ﷺ صيغة الرسالة بصيغة البنوة.

المكتوب على وفق المراد فيكون معجزة أخرى في ذلك الوقت خاصة ولا يخرج بذلك عن كونه أميا..»[1]

٣. كتاب الأوس والخزرج إلى رسول الله ﷺ

قال ابن سعد تحت عنوان : ذكر العقبة الأولى ..

... لما كان العام المقبل من العام الذى لقى فيه رسول اللّه ﷺ النفر الستّة لقيه اثنا عشر رجلًا بعد ذلك بعام، وهى العَقَبة الأولى، من بنى النّجّار أسعد ابن زُرارة، وعَوْف ومُعاذ وهما ابنا الحارث، وهما ابنا عَفْراء، ومن بنى زُريق ذكوان بن عبد قيس ورافع بن مالك، ومن بنى عوف بن الخزرج عبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة أبو عبد الرحمن، ومن بنى عامر بن عوف عبّاس بن عُبادة ابن نَضْلة، ومن بنى سلمة عُقْبة بن عامر بن نابئ، ومن بنى سواد قُطْبة بن عامر ابن حَديدة، فهؤلاء عشرة من الخزرج، ومن الأوس رجلان أبو الهيثم بن التيّهان من بلىّ حليفٌ في بنى عبد الأشهل، ومن بنى عمرو بن عوف عُويم بن ساعدة، فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء، على أن لا نُشرك باللّه شيئًا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببُهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيَه في معروف، قال: فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمُ الجنَّةُ وَمَنْ غَشِيَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا كَانَ أَمْرُهُ إلى اللَّهِ إنْ شَاءَ عَذّبَهُ وَإنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، ولم يُفرض يومئذ القتال، ثمّ انصرفوا إلى المدينة فأظهر اللّه الإسلام.

وكان أسعد بن زُرارة يُجَمّعُ بالمدينة بمن أسلم، وكتبت الأوس والخزرج إلى رسول اللّه، ﷺ: ابعث إلينا مقرئًا يُقرئنا القرآن، فبعث إليهم مُصعب بن عُمير العبدري فنزل على أسعد بن زُرارة فكان يقرئهم القرآن..» [2]

---

(١) نقله عنه الحافظ ابن حجر في الفتح : ٥٠٣/٧. ٥٠٤

(٢) الطبقات ١٠٩/٣.

٤. كتاب رسول الله إلى مصعب بن عمير[١]

لما بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بعد بيعة العقبة الأولى في العام الحادي عشر من البعثة[٢]. كتب له كتابا فعن ابْنِ عَبّاسٍ، قَالَ : أَذِنَ النّبِيّ ﷺ بِالْجُمُعَةِ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ وَلَمْ يَسْتَطِعْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُجَمّعَ بِمَكّةَ وَلَا يُبْدِيَ لَهُمْ فَكَتَبَ إلَى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَمّا بَعْدُ فَانْظُرْ الْيَوْمَ الّذِي تَجْهَرُ فِيهِ الْيَهُودُ بِالزّبُورِ لِسَبْتِهِمْ فَاجْمَعُوا نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ فَإِذَا مَالَ النّهَارُ عَنْ شَطْرِهِ عِنْدَ الزّوَالِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَتَقَرّبُوا إلَى اللهِ بِرَكْعَتَيْنِ قَالَ فَأَوّلُ مَنْ جَمّعَ: مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ،...»[٣]

٥. مما كتبه المسلمون في مكة قبل الهجرة.

قال الحافظ الدارمي (ت ٢٨٠هـ): أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ، ثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَتِفٍ فِيهِ كِتَابٌ فَقَالَ: «كَفَى بِقَوْمٍ ضَلَالاً أَنْ يَرْغَبُوا عَمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُمْ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ نَبِيٌّ غَيْرُ نَبِيِّهِمْ، أَوْ كِتَابٌ غَيْرُ كِتَابِهِمْ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عز وجل – «أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ « [٤]

---

(١) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ بن كلاب العبدري. أحد السابقين إلى الإسلام. وكتم إسلامه خوفا من أمه وقومه، فعلمه عثمان بن طلحة، فأعلم أهله فأوثقوه، فلم يزل محبوسا إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة فهاجر إلى المدينة وشهد بدرا، ثم شهد أحدا ومعه اللواء فاستشهد. لما انصرف الناس عن العقبة بعث النبيّ ﷺ معهم مصعب بن عمير يفقههم، وكان مصعب هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى، ثم رجع إلى مكّة، ثم هاجر إلى المدينة...وفي صحيح البخاريّ، عن البراء: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ... الحديث رقم : ٣٩٢٤ (الإصابة ٩٨/٦) وعند ابن سعد :» سمعتُ البراء بن عازب يقول: أوّل من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ مُصْعَب بن عُمير وابنُ أمّ مكتوم، يعني في الهجرة إلى المدينة..(الطبقات ١٠٩/٣)

(٢) قال ابن سعد :» ذكر العقبة الأولى... وكتبت الأوس والخزرج إلى رسول اللّه، ﷺ ابعث إلينا مقرئًا يُقرئنا القرآن، فبعث إليهم مُصعب بن عُمير العبدري فنزل على أسعد بن زُرارة فكان يقرئهم القرآن..(الطبقات ١٨٧/١) وذكر ابن الأثير في ترجمته أن بعثه كان بعد العقبة الأولى (أسد الغابة ١٧٥/٥) وكذلك صنع ابن الجوزي في تلقيح فهوم أهل الأثر فقد أرخ بعثة مصعب بعد العقبة الأولى (التلقيح ٣٠٤/١) على خلاف ما ذهب ابن عبد البر حين قال :» وَكَانَ رَسُول اللَّهِ ﷺ قد بعث مصعب بْن عمير إِلَى المدينة قبل الهجرة بعد العقبة الثانية يقرئهم القرآن ويفقههم فِي الدين..» الاستيعاب ١٤٧٣/٤) فهو خلاف المشهور من تاريخ بعثة مصعب رضي الله عنه.

(٣) الروض الأنف ٥٦/٤. ٥٧

(٤) مسند الدارمي ١٩٣/١. وقال في القطوف الدانية فيما انفرد به الدارمي عن الثمانية -جمع وتحقيق: الدكتور/ مرزوق بن هياس الزهراني-: «هو مرسل، رجاله ثقات». القطوف الدانية فيما انفرد به الدارمي عن

قال الإمام الطبري في تفسير قول الله تعالى من سورة العنكبوت المكية [1] :» أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ..» [2]

وذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوما من أصحاب رسول الله ﷺ انتسخوا شيئا من بعض كتب أهل الكتاب. ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة أن ناسا من المسلمين أتوا نبيّ الله ﷺ بكتب، قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود، فلما أن نظر فيها ألقاها، ثم قال: «كفى بها حماقة قوم -أو ضلالة قوم- أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم، إلى ما جاء به غير نبيهم، إلى قوم غيرهم «، فنزلت: «أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»[3]

فهذه نصوص وروايات ووثائق تنهض دليلا على وجود الكتابة والتدوين في المرحلة المكية من تاريخ علم الحديث. وجود يناسب طبيعة المرحلة من حيث انعدام الأمن والأمان فيها، وندرة الوسائل التي كانت تُتخذ للكتابة . وكانت هذه الكتابة ـ أو التدوين ـ مصاحبة ومعززة للحفظ في الصدور الذي ميز الناس في هذا الزمن .

ومما كُتب في هذه المرحلة من وثائق قد تُعد جزءا من نصوص الحديث أو نصوص السيرة ومنها :» صحيفة مقاطعة المسلمين « التي كتبها كفار قريش مطلع العام السابع من البعثة.

قال ابن إسحاق وموسى بن عقبة وغيرهما من أصحاب المغازي:

«لما رأت قريش أن الصحابة قد نزلوا أرضا أصابوا بها أمانا، وأن عمر أسلم وأن الإسلام فشا في القبائل. أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم، ومنعوه ممن أراد قتله. فأجابوه إلى ذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية. فلما رأت قريش ذلك أجمعوا على أن يكتبوا

الثمانية للدكتور/ مرزوق بن هياس الزهراني (ص:١٢٧)، حاشية رقم (٣). وخرجه الحافظ أبو داود في المراسيل ٣٢/٢.

(١) قلت : المشهور أنها مكية وبعض آياتها مدني قال في الإتقان :» اسْتُثْنِيَ مِنْ أولها إلى: {وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ} لِمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي سَبَبِ نُزُولِهَا قُلْتُ وَيُضَمُّ إِلَيْهِ: {وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ} الْآيَةَ. لِمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي سَبَبِ نُزُولِهَا.» (٦٢/١)

(٢) سورة العنكبوت الآية : ٥١

(٣) جامع البيان ٥٣/٢٠.

بينهم وبين بني هاشم وبني المطلب كتابا أن لا يعاملوهم، ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ. ففعلوا ذلك، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة. وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي. فشُلت أصابعه...[1]

هذا ما قدمته كتب السيرة المذكورة من معلومات تتصل بحدث الحصار الاقتصادي والاجتماعي ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبي هريرة . الآتي بعد حين . لان فيه دلالة على أصل القصة لان الذي أورده أهل المغازي من ذلك كالشرح لقوله في الحديث تقاسموا على الكفر.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْغَدِ يَوْمَ النَّحْرِ وَهُوَ بِمِنًى: نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ [2] يَعْنِي ذَلِكَ الْمُحَصَّبَ. وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوْ بَنِي الْمُطَّلِبِ أَنْ لَا يُنَاكِحُوهُمْ وَلَا يُبَايِعُوهُمْ حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ ﷺ «

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَرَادَ حُنَيْنًا:» مَنْزِلُنَا غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ[3] حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ *[4]

(١) ذكره الحافظ ملخصا من المصادر الواردة في النقل. راجع الفتح ١٩٢/٧.

(٢) قلت: هذا من المواطن التي أخبر فيها رسول الله ﷺ عن حوادث من سيرته في مرحلة متأخرة من حياته، ومنها إخباره عن رعي الغنم.. فهو ﷺ لم يوثق كافة مراحل حياته وما أمر بتوثيقها.. وفي هذا ما فيه من دلالات وعبر.

(٣) المحصب والأبطح وخيف بني كنانة أسماء لمكان واحد.

قوله:» قال رسول الله ﷺ حين أراد حنينا منزلنا غدا إن شاء الله تعالى بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر هكذا أورده مختصرا وقد تقدم في الحج من طريق شعيب عن ابن شهاب الزهري بهذا الإسناد بلفظ: قال حين أراد قدوم مكة «...وإنما اختار النبي ﷺ النزول في ذلك الموضع ليتذكر ما كانوا عليه فيه، فيشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه من الفتح العظيم وإقامة المناسك بالبلد الحرام على رغم أنف من سعى في محاصرته فيها وصحبه، وإخراجه منها...

(٤) كتاب مناقب الأنصار باب تقاسم المشركين على النبي ﷺ، صحيح البخاري. رقم الحديث ٣٨٨٢ ورواه في الحج برقم ١٥٨٩ و١٥٩٠

ثالثا .المكتوبات في المرحلة المدنية من تاريخ الحديث النبوي.

شهدت المرحلة المدنية من تاريخ الحديث النبوي طائفة كبيرة من المدونات الحديثية بفضل انتشار الأمن والاستقرار بالمدينة وتوفر دواعي الكتابة والتدوين .

وقد ظهرت هذه المدونات في هذه المرحلة من تاريخ علم الحديث رغم ورود حديث النهي عن كتابة الحديث الذي صح نقله عن النبي ﷺ ..وهذا ما سأحاول توجيهه في هذا البحث .وذلكم بعرض ما وصلنا من هذه المدونات وتوجيه حديث النهي عن الكتابة بما يرفع عنه التعارض والاختلاف .

١.كتاب الأمان الذي كُتب لسراقة بن جُعشم [١]

لعل أول مدونة حديثية احتفظت بها المظان المتخصصة كتب الأمان الذي أمر النبي ﷺ بكتابته أثناء هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة مطلع العام الهجري الأول وملاحقة سُراقة بن مالك [٢] بن جُعشم له رغبة في الفداء الموعود به.. فلما أيقن أن طلبه فائت قال :» ...فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ[٣]. فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ [٤] فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ[٥].

---

(١) سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرّة بن عبد مناة بن كنانة الكناني المدلجيّ.. وأسلم يوم الفتح. قال أبو عمر: مات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين (الإصابة ٣/٣٥) وأما كتاب الأمان فقد احتفظ به سراقة حتى أظهره له يوم إسلامه (انظر تفصيل الخبر في الطبقات لابن سعد ٦/١٤٩. ١٥٠)

(٢) سراقة بن مالك بن جعشم :بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرّة بن عبد مناة بن كنانة الكناني المدلجيّ روى البخاريّ قصته في إدراكه النّبي صلّى اللّه عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة، ودعا النبي صلّى اللّه عليه وسلم حتى ساخت رجلا فرسه، ثم إنه طلب منه الخلاص، وألّا يدل عليه، ففعل، وكتب له أمانا، وأسلم يوم الفتح.. قال أبو عمر: مات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين.(الإصابة ٣/٣٥. ٣٦)

(٣) قوله:» كتاب أمن « بسكون الميم وفي رواية الإسماعيلي كتاب موادعة. وهو في الجامع الصحيح باب : باب هِجْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ . رقم الرواية : ٣٩٠٦.

(٤) عامر بن فهيرة المتوفى سنة ٤ هـ صحابي، مولى أبي بكر الصديق، وأحد السابقين إلى الإسلام، وكان من المستضعفين الذين عُذّبوا لما اعتنقوا الإسلام، فاشتراه أبو بكر الصديق، فأعتقه فصار مولى له، وشارك مع النبي محمد في غزوتي بدر وأحد، وقتل في سرية بئر معونة.

(٥) قوله :» فأمر عامر بن فهيرة « فكتب في رقعة من أدم. وفي رواية ابن إسحاق فكتب لي كتابا في عظم أو ورقة أو خرقة، ثم ألقاه إلي فأخذته. فجعلته في كنانتي ثم رجعت. وفي رواية موسى بن عقبة نحوه. وعندهما: فرجعت فسُئلت فلم أذكر شيئا مما كان. حتى إذا فرغ من حنين بعد فتح مكة خرجت لألقاه ومعي الكتاب. فلقيته بالجعرانة حتى دنوت منه فرفعت يدي بالكتاب. فقلت: يا رسول الله هذا كتابك. فقال: يوم وفاء وبر، أدن. فأسلمت. (يراجع فتح الباري ٧/٢٤٢)

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

٢.المعاهدة بين المهاجرين والأنصار .

نظم النبي ﷺ العلاقات بين سكان المدينة، وكتب في ذلك كتابا أوردته بعض كتب الحديث النبوي ومصادر السيرة النبوية. وسمي الكتاب تارة: «وثيقة» وتارة: «صحيفة». وقصد بها تحديد حقوق وواجبات جميع الأطراف المتعايشة داخل المدينة.

وقد تناولت الوثيقة الأصلية جانبين اثنين. الأول: موادعة الرسول ﷺ يهود المدينة[١]. والثاني، التزامات المسلمين من مهاجرين وأنصار.. وتم ذلك قبل غزاة بدر الكبرى.

روى الحافظ البيهقي بإسناده فقال «...كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَأَهْلُهَا أَخْلَاطٌ، مِنْهُمُ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ تَجْمَعُهُمْ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمِنْهُمُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَمِنْهُمُ الْيَهُودُ وَهُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ وَالْحُصُونِ وَهُمْ حُلَفَاءُ لِلْحَيَّيْنِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ اسْتِصْلاحَهُمْ كُلَّهُمْ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَكُونُ مُسْلِمًا وَأَبُوهُ مُشْرِكٌ، وَالرَّجُلُ يَكُونُ مُسْلِمًا وَأَخُوهُ مُشْرِكٌ...» [٢]

وعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ[٣] قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ هَلْ عِنْدَكُمْ[٤] كِتَابٌ[٥]؟ قَالَ: لا، إِلَّا

---

(١) تراجع سيرة ابن هشام ١/٥٠١. ٥٠٢ والأموال للقاسم بن سلام.١/٤٧٩.

(٢) طرف من حديث طويل سيرد بتمامه آخر هذا المبحث رواه البيهقي في السنن الكبرى. رقم الحديث: ١٧٠٨٨

(٣) هو: وهب بن عبد الله السُوائي بضم السين المهملة وتخفيف الواو والمد قدم على النبي ﷺ في أواخر عمره، وحفظ عنه ثم صحب عليا بعده، وولاه علي رضي الله عنه شرطة الكوفة لما ولي الخلافة. وكان يسميه وهب الخير. توفي عام ٦٤هـ (الإصابة ٦/٤٩٠. ٤٩١).

(٤) قوله:» هل عندكم « الخطاب لعلي. والجمع إما لإرادته مع بقية أهل البيت أو للتعظيم.

(٥) قوله:» كتاب « أي مكتوب أخذتموه عن رسول الله ﷺ مما أوحي إليه. ويدل على ذلك رواية المصنف في الجهاد:» هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ « وله في « الديات «: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ «..

وإنما سأله أبو جحيفة لأن جماعة ... كانوا يزعمون أن عند أهل البيت لا سيما عليا أشياء من الوحي خصهم النبي ﷺ بها لم يُطلع غيرهم عليها. وقد سأل عليا عن هذه المسألة أيضا قيس بن عبادة والأشتر النخعي وحديثهما في سنن النسائي.

كِتَابُ اللَّهِ أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ[1] أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ[2]. قَالَ: قُلْتُ فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: الْعَقْلُ[3] وَفِكَاكُ[4] الأَسِيرِ وَلا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ.[5] «[6]

وعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَالْأَشْتَرُ إِلَى عَلِيٍّ ﷺ فَقُلْنَا: هَلْ عَهِدَ إِلَيْكَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً؟ قَالَ: لا، إِلا مَا كَانَ فِي كِتَابِي هَذَا، فَأَخْرَجَ كِتَابًا مِنْ قِرَابِ سَيْفِهِ، فَإِذَا فِيهِ « الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ. أَلا لا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، ولا ذُو عَهْدٍ بِعَهْدِهِ، مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا فَعَلَى نَفْسِهِ أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.»[7]

٣.المعاهدة مع يهود المدينة :

كانت حاضرة المدينة وطنا لأنواع بشرية عدة، ومنها فئة اليهود الذين استوطنوا المدينة في زمن متقدم على هجرة الرسول ﷺ إليها..

ويحدثنا النص التاريخي الآتي عن وجه من هدي رسول الله ﷺ في تدبير هذا العنصر

---

(١) ورد عند البخاري في الجهاد والسير رقم الحديث: ٣٠٤٧ بلفظ: عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر. *

المراد بذكر الفهم إثبات إمكان الزيادة على ما في الكتاب. ومعناه إن أعطى الله رجلا فهما في كتابه فهو يقدر على الاستنباط فتحصل عنده الزيادة بذلك الاعتبار.

(٢) الصحيفة: الورقة المكتوبة.

(٣) العقل أي الدية، وإنما سميت به لأنهم كانوا يُعطون فيها الإبل ويربطونها بفناء دار المقتول بالعقال وهو الحبل. ووقع في رواية ابن ماجة:» الديات « والمراد أحكامها ومقاديرها وأصنافها.

(٤) فكاك بالكسر والفتح، والمعنى أن فيها حكم تخليص الأسير من يد العدو والترغيب في ذلك.

(٥) فيه الدليل على عظم قدر دم المؤمن، وأن دم الكافر لا يساويه في الرتبة والمكانة.

(٦) كتاب العلم من البخاري باب كتابة العلم. رقم الحديث ١١١. وقد وردت هاته الصحيفة في أصول حديثية عدة، وبألفاظ مختلفة. «.. والجمع بين هذه الأحاديث أن الصحيفة كانت واحدة وكان جميع ذلك مكتوبا فيها، فنقل كل واحد من الرواة عنه ما حفظه والله أعلم (الفتح ١/٢٠٥. و٤/٨٥)

وقد بين قتادة في روايته لهذا الحديث عن أبي حسان عن علي، وبين أيضا السبب في سؤالهم لعلي رضي الله عنه عن ذلك. أخرجه والبيهقي في « الدلائل «...

(٧) سنن النسائي. كتاب البيوع رقم الحديث: ٤٧٠٠

البشري من العناصر التي أقامت بالمدينة زمن الرسالة.

عَنِ الزهْرِي، أَخْبَرَنِي عَبْد الرحْمَن بْن عَبْد الله بن كعب بن مالِك، أَظُنُّهُ عَنْ ابيه: «.. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَأَهْلُهَا أَخْلَاطٌ، مِنْهُمُ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ تَجْمَعُهُمْ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمِنْهُمُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَمِنْهُمُ الْيَهُودُ وَهُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ(١) وَالْحُصُونِ وَهُمْ حُلَفَاءُ لِلْحَيَّيْنِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ اسْتِصْلاحَهُمْ كُلَّهُمْ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَكُونُ مُسْلِمًا وَأَبُوهُ مُشْرِكٌ، وَالرَّجُلُ يَكُونُ مُسْلِمًا وَأَخُوهُ مُشْرِكٌ....فَكَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَامًّا صَحِيفَةً كَتَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ الْعَذْقِ (٢) الَّذِي فِي دَارِ بِنْتِ الْحَارِثِ. فَكَانَتْ تِلْكَ الصَّحِيفَةُ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.»(٣)

٤. كتابه ﷺ لعبد الله بن جحش.

كانت هذه السرية أواخر شهر جمادى الآخرة من السنة الثانية من الهجرة، قبل وقعة بدر الكبرى، حيث أمر النبي ﷺ عبد الله بن جحش الأسدي ـ وهو أخ زينب أم المؤمنين ـ على سَرِيَّةٍ(٤) تتكون من اثني عشر رجلا من المهاجرين، وكتب له كتابا، وأمره ألا يفتحه إلا بعد مسيرة يومين، ففعل...(٥).

(١) ورد في النهاية:» الحلقة «: السلاح .

(٢) العذق: بالفتح النخلة. وبالكسر: العرجون بما فيه من الشماريخ. ويجمع على عذاق بكسر العين.

(٣) السنن الكبرى. البيهقي رقم الحديث: ١٧٠٨٨. تُراجع تفاصيل هذه المعاهدة في مظانها...

(٤) - هي القطعة من الجيش التي توجه لعملية عسكرة من غير أن يشارك فيها النبي ﷺ، أما ما يشارك فيه عليه السلام فيسمى غزوة.

(٥) - حديث معلق في الجامع الصحيح، وانظر وصل الحافظ ابن حجر له في الفتح (١/١٥٥) ولتمام الفائدة فإن ما احتواه الكتاب هو أمر بمراقبة أخبار قريش، وقد نفدت السرية ما أمرت به إلا ما كان من اثنين من رجالها.

٥.كتاب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ»[١]

كان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه يكتب بأخبار المشركين إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وكان المسلمون يتقوّون به بمكة، وكان يحب أن يقدم على رَسُول اللَّهِ ﷺ فكتب إليه رسول الله ﷺ : إن مقامك بمكة خير، فلذلك قَالَ رَسُولُ الله ﷺ يوم بدر: من لقي منكم العباس فلا يقتله، فإنه إنما أخرج كارها..»[٢]

«..فكتب الْعَبَّاس بْن عَبْد الْمُطَّلِبِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُخبره بذلك ويقول لَهُ: «اصنع ما كنتَ صانعا إذا وردوا عليك، وتقدّم فِي استعداد التأهب» . وبعث بكتابه إِلَيْه مَعَ رَجُل اكتراه من بني غفار. فوافى الغفاري رَسُول اللَّهِ ﷺ وهو بقباء. فلما دفع كتابَ الْعَبَّاس إِلَيْه، قَرَأَه على أَبِيّ بْن كعب، واستكتمه ما فِيهِ. وأتى سعدَ بن الربيع فأخبره بذلك واستكتمه إياه..»[٣]

قلت : والسياق التاريخي للنص يدل على أنه كان في غزوة أحد في العام الثالث الهجري.

٦.صلح الحديبية الذي تم في شهر ذي القعدة من السنة السادسة[٤].

ففي البخاري عَنْ أَبِى إِسْحَاقَ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ - رضى الله عنهما - قَالَ لَمَّا صَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَةِ كَتَبَ عَلِىٌّ بَيْنَهُمْ كِتَابًا فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لاَ تَكْتُبْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، لَوْ كُنْتَ رَسُولاً لَمْ نُقَاتِلْكَ..""[٥]

---

(١) وكان أبو عامر عبد عَمْرو بْن صيفي الراهبُ خرج فِي خمسين رجلًا من الأوس حتَّى قدم بهم مكَّة. وذلك حين هَاجَرَ رَسُول اللَّه ﷺ إلى المدينة. فأقام مَعَ قريش، ولم يسر معها إلى بدر، ولكنه سار معها إلى أحد، فقاتل المسلمين. قَالُوا: وخرج نساء مكَّة، ومعهن الدفوف يبكين قتلى بدر وينحن عليهم. ولما ورد المشركون يثربَ، أقبلوا يرعون إبلهم زروعَ الأنصار وَقَدْ قرب إدراكها. وكان قدومهم يثربَ يَوْم الخميس لخمس خلون من شوال. والحرب بعد ذَلِكَ بيومين. وكان جميع المشركين ثلاثة آلاف بمن ضوى إلى قريش. وقادوا مائتي فرس. وكان فيهم سبع مائة دارع.(أنساب الأشراف ٣١٣/١) قلت : والسياق التاريخي للنص كان في غزوة أحد في العام الثالث الهجري.

(٢) الاستيعاب ٨١٢/٢.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ٣١٣/١. ٣١٤.

(٤) -يراجع في هذا الخبر كتاب المغازي من جامع البخاري (رقم ٤٢٥١).

(٥) كتاب الصلح باب كَيْفَ يُكْتَبُ هَذَا مَا صَالَحَ فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ . وَفُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ وَإِنْ لَمْ يَنْسُبْهُ إِلَى قَبِيلَتِهِ ، أَوْ نَسَبِهِ . رقم الحديث : ٢٦٩٨ وأعاده في مواطن عدة منها : كتاب المغازي من جامع البخاري (رقم ٤٢٥١).

٧.صحيفة علي كرم الله وجهه

قال الإمام البخاري :» حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ حَدَّثَنَا أَبِى حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِىُّ حدثني أَبِى قَالَ خَطَبَنَا عَلِىٌّ - رضى الله عنه - عَلَى مِنْبَرٍ مِنْ آجُرٍّ ، وَعَلَيْهِ سَيْفٌ فِيهِ صَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ يُقْرَأُ إِلاَّ كِتَابُ اللَّهِ وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ . فَنَشَرَهَا فَإِذَا فِيهَا أَسْنَانُ الإِبِلِ وَإِذَا فِيهَا « الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ عَيْرٍ إِلَى كَذَا ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً » . وَإِذَا فِيهِ « ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً » . وَإِذَا فِيهَا « مَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً »[1]

وقال الإمام مسلم رحمه الله :» وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَأَبُو كُرَيْبٍ جَمِيعًا عَنْ أَبِى مُعَاوِيَةَ - قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ - حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ التيمي عَنْ أَبِيهِ قَالَ خَطَبَنَا عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ فَقَالَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ عِنْدَنَا شَيْئًا نَقْرَأُهُ إِلاَّ كِتَابَ اللَّهِ وَهَذِهِ الصَّحِيفَةَ - قَالَ وَصَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ فِي قِرَابِ سَيْفِهِ - فَقَدْ كَذَبَ فِيهَا أَسْنَانُ الإِبِلِ وَأَشْيَاءُ مِنَ الْجِرَاحَاتِ وَفِيهَا قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ وَمَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً ».

وَانْتَهَى حَدِيثُ أَبِى بَكْرٍ وَزُهَيْرٍ عِنْدَ قَوْلِهِ « يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ ». وَلَمْ يَذْكُرَا مَا بَعْدَهُ وَلَيْسَ في حَدِيثِهِمَا مُعَلَّقَةٌ في قِرَابِ سَيْفِهِ.[2]

٨.كتاب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن في العام السابع الهجري.

عَنْ مَالِكٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ فِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ فِي الْعُقُولِ أَنَّ فِي النَّفْسِ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ. وَفِي الْأَنْفِ

(١) الجامع الصحيح رقم الرواية : ٧٣٠٠

(٢) المسند الصحيح باب فضل المدينة الحديث رقم : ٣٣٩٣

إِذَا أُوعِيَ جَدْعًا[١] مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ. وَفِي الْمَأْمُومَةِ [٢] ثُلُثُ الدِّيَةِ وَفِي الْجَائِفَةِ [٣]مِثْلُهَا. وَفِي الْعَيْنِ خَمْسُونَ. وَفِي الْيَدِ خَمْسُونَ. وَفِي الرِّجْلِ خَمْسُونَ. وَفِي كُلِّ أُصْبُعٍ مِمَّا هُنَالِكَ. عَشْرٌ مِنَ الْإِبِلِ. وَفِي السِّنِّ خَمْسٌ. وَفِي الْمُوضِحَةِ [٤]خَمْسٌ»[٥]

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله في الحكم على أصل الرواية المخرجة في الموطأ : « لا خِلافَ، عن مالكٍ في إرسالِ هذا الحديثِ، بهذا الإسْنادِ. وقد رُوي مُسندًا من وَجْهٍ صالح. وهُو كِتابٌ مشهُورٌ عندَ أهلِ السِّيرِ، مَعرُوفٌ ما فيه عندَ أهلِ العِلْم، مَعْرِفةً تَسْتغني بشُهرتِها عنِ الإسنادِ؛ لأنَّهُ أشبَهَ التَّواتُرَ في مجيئهِ، لتلقِّي النّاسِ لهُ بالقَبُولِ والمعرِفةِ» [٦]

٩. كتبه ﷺ إلى الملوك والأمراء لدعوتهم إلى الإسلام.

المستفاد من السياق التاريخي لحوادث السيرة النبوية في مرحلتها المدنية أن النبي ﷺ لما أمن جانب كفار قريش بعد صلح الحديبية انفتح على المحيط العام لحاضرة المدينة فراسل ملوك

وأمراء زمانه . وقد اعتنى غير واحد ممن ألف في السيرة النبوية بتتبع هذه الكتب والرسائل ومنهم ابن سيد الناس، اليعمري (ت ٧٣٤هـ) في كتابه الحافل :» عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير»

---

(١) أي: استؤصل قطعًا، والجدع: القطع.(مطالع الأنوار ٩٨/٢)

(٢) الْمَأْمُومَةُ جُرْحٌ يَخْرِقُ إِلَى الدِّمَاغِ قَالَ مَالِكٌ يَصِلُ إِلَى الدِّمَاغِ(المنتقى ١٩٨/٤)

(٣) في الْجَائِفَة ثلث الدّيَة هي الطَّعْنَة التي تَنْفُذ إلى الجَوْف.(النهاية في غريب الحديث .باب الجيم مع الواو.)

(٤) هي الشَّجَّة التي تُوضح عن العَظْمِ وفيها إذا وقعت عمداً القِصَاصُ لإمكان استيفائه وإذا وقعَتْ خطأً ففيها خمسٌ من الإبل .(الفائق في غريب الحديث .الواو مع الضاد ٦٦/٤) وقال في النهاية :» وهي التي تُبْدِي وَضَحَ العَظْم : أي بياضَه . والجمع : المَواضِح.(٤٢٩/٥)

(٥) الموطأ برواية الليثي باب ذكر العقول . الحديث رقم : ١٥٥٥. وخرجه مطولا الحافظ ابن حبان في صحيحه(٦٦٤/٧. ٦٦٧) ورواه الحافظ الدارمي مقطعا في مسنده قال في أول قطعة منه :» أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، حَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ.(رقم الرواية : ١٦٦١) وخرجه الحاكم أيضا (٥٥٢/١)

(٦) التمهيد ١٧٥/١١.

ومنهم جمال الدين ابن حديدة ت ٧٨٣ هـ في كتابه: «المصباح المضي، في كتّاب النبيّ الأميّ، ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي» باستقراء هذه الوثائق النبوية النفيسة.

ومن هذه الكتب :

كتابه ﷺ إلى هرقل عظيم الروم[١].

...وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ دَعَا بِكِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَرَأَ فَإِذَا فِيهِ « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَ « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ » . الآيَةَ [٢] .

وقال الإمام مسلم رحمه الله :» حدثني يُوسُفُ بْنُ حَمَّادٍ الْمَعْنِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ نبي اللَّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى وَإِلَى قَيْصَرَ وَإِلَى النجاشي وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَيْسَ بالنجاشي الَّذِى صَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ» [٣]

كتابه ﷺ إلى النجاشي [٤].

ذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ كتب إلى النجاشي كتابا، وأرسله مع عمرو بن أمية الضمري ، فيه: « بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس، السلام المؤمن، المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول، فحملت به، فخلقه من روحه، ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى «.[٥]

---

(١) - راجع في هذا الأحاديث التي تحمل أرقام ٧-٥١ في كتابي بدء الوحي والإيمان من جامع الإمام البخاري.

(٢) رواه البخاري موصولا في كتاب بدء الوحي ومعلقا في مواطن أخرى من الجامع ..

(٣) باب كُتُبِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى مُلُوكِ الْكُفَّارِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .الحديث رقم : ٤٧٠٩.

(٤) النجاشي لقب لكل من حكم الحبشة وقد عاصر منهم ﷺ عددا ، أما الذي آمن به فاسمه :» أصحمة» ففي البخاري قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ « مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ »باب موت النجاشي الحديث رقم : ٣٨٧٧.

(٥) عيون الأثر ٢/٣٣٠

كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس ملك مصر.

ذكر الواقدي أن النبي ﷺ كتب إلى المقوقس، مع حاطب بن أبي بلتعة : « بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بداعية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط ، { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }(آل عمران:٦٤)) .[1]

كتاب رسول الله ﷺ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوِي الْعَبْدِيِّ مَعَ الْعَلاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ.

ذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ بِإِسْنَادٍ لَهُ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: وَجَدْتُ هَذَا الْكِتَابَ فِي كتب ابْنِ عَبَّاسٍ بَعْدَ مَوْتِهِ فَنَسَخْتُهُ، فَإِذَا فِيهِ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَلاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوِي، وَكتب إِلَيْهِ رَسُول اللَّهِ ﷺ كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الإِسْلامِ، فَكتب الْمُنْذِرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَمَّا بَعْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: فَإِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَكَ عَلَى أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَحَبَّ الإِسْلامَ وَأَعْجَبَهُ وَدَخَلَ فِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَرِهَهُ، وَبِأَرْضِي مَجُوسٌ وَيَهُودُ، فَأَحْدِثْ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ أَمْرَكَ..

فَكتب إليه رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول اللَّهِ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوِي، سَلامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أُذَكِّرُكَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَنْصَحُ فَإِنَّمَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُطِعْ رُسُلِي وَيَتَّبِعْ أَمْرَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ نَصَحَ لَهُمْ فَقَدْ نَصَحَ لِي، وَإِنَّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَلَيْكَ خَيْرًا، وَإِنِّي قَدْ شَفَعْتُكَ فِي قَوْمِكَ، فَاتْرُكْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ، وَعَفَوْتُ عَنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَإِنَّكَ مَهْمَا تُصْلِحُ فَلَنْ نَعْزِلَكَ عَنْ عَمَلِكَ، وَمَنْ أَقَامَ عَلَى يَهُودِيَّةٍ أَوْ مَجُوسِيَّةٍ فَعَلَيْهِ الْجِزْيَةُ.

أَسْلَمَ الْمُنْذِرُ هَذَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَسُنَ إِسْلامُهُ، وَمَاتَ قَبْلَ رِدَّةِ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ. وَذَكَرَ ابْنُ قَانِعٍ أَنَّهُ وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ أَبُو الرَّبِيعِ بْنُ سَالِمٍ: وَلا يَصِحُّ ذَلِكَ» [2]

(١) عيون الأثر ٢/٣٣٢.

(٢) عيون الأثر ٢/٣٣٤

كتاب النبي ﷺ إلى جَيْفَرٍ وَعَبْدٍ ابْنَيِ الْجُلَنْدِيِّ الأَزْدِيِّينَ، مَلِكَيْ عُمَانَ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى جَيْفَرٍ وَعَبْدٍ ابْنَيِ الْجُلَنْدِيِّ، سَلامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكُمَا بِدَاعِيَةِ الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله ﷺ كَافَّةً، لأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَإِنَّكُمَا إِنْ أَقْرَرْتُمَا بِالإِسْلامِ وَلَّيْتُكُمَا، وَإِنْ أَبَيْتُمَا أَنْ تُقِرَّا بِالإِسْلامِ فَإِنَّ مُلْكَكُمَا زائل عنكما، وخيلي تَحِلُّ بِسَاحِتِكُمَا، وَتَظْهَرُ نُبُوَّتِي عَلَى مُلْكِكُمَا.

وَكتب أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَخَتَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الكتاب. فقال عمر: ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى عُمَانَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا عَمَدْتُ إِلَى عَبْدٍ، وَكَانَ أَحْلَمَ الرَّجُلَيْنِ وَأَسْهَلَهُمَا خُلُقًا، فَقُلْتُ: إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكَ وَإِلَى أَخِيكَ، فَقَالَ: أَخِي الْمُقَدَّمُ عَلَيَّ بِالسِّنِّ وَالْمُلْكِ، وَأَنَا أُوَصِّلُكَ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْرَأَ كتابك، ثم قال لي: وما تدعوا إِلَيْهِ؟ قُلْتُ: أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَتَخْلَعُ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِهِ، وَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: يَا عَمْرُو، إِنَّكَ ابْنُ سَيِّدِ قَوْمِكَ، فَكَيْفَ صَنَعَ أَبُوكَ فَإِنَّ لَنَا فِيهِ قُدْوَةً؟ فَقُلْتُ: مَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وودت أَنَّهُ كَانَ أَسْلَمَ وَصَدَّقَ بِهِ، وَقَدْ كُنْتُ أَنَا عَلَى مِثْلِ رَأْيِهِ حَتَّى هَدَانِي اللَّهُ لِلإِسْلامِ، قَالَ فَمَتَى تَبِعْتَهُ؟ قُلْتُ: قَرِيبًا، فَسَأَلَنِي: أَيْنَ كَانَ إِسْلامِي؟

فَقُلْتُ: عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ النَّجَاشِيَّ قَدْ أَسْلَمَ، قَالَ: فَكَيْفَ صَنَعَ قَوْمُهُ بِمُلْكِهِ، قُلْتُ: أَقَرُّوهُ وَاتَّبَعُوهُ، قَالَ: وَالأَسَاقِفَةُ وَالرُّهْبَانُ اتَّبَعُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: انْظُرْ يَا عَمْرُو مَا تَقُولُ، أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ خَصْلَةٍ فِي رَجُلٍ أَفْضَحَ لَهُ مِنْ كَذِبٍ، قُلْتُ: مَا كَذَبْتُ وَمَا نَسْتَحِلُّهُ فِي دِينِنَا، ثُمَّ قَالَ: مَا أَرَى هِرْقِلَ عَلِمَ بِإِسْلامِ النَّجَاشِيِّ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ عَلِمْتَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: كَانَ النَّجَاشِيُّ يُخَرِّجُ لَهُ خَرْجًا، فَلَمَّا أَسْلَمَ وَصَدَّقَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ قَالَ: لا وَاللَّهِ، وَلَوْ سَأَلَنِي دِرْهَمًا وَاحِدًا مَا أَعْطَيْتَهُ، فَبَلَغَ هِرْقِلَ قَوْلُهُ فَقَالَ لَهُ يَنَاق أَخُوهُ: أَتَدَعُ عَبْدَكَ لا يُخْرِجُ لَكَ خَرْجًا وَيَدِينُ دِينًا مُحْدَثًا! قَالَ هِرْقِلُ..» (١)

كتاب النبي ﷺ إلى كسرى ملك فارس.

وقد أرسله النبي ﷺ مع عبد الله بن حذافة ـ رضي الله عنه ـ

(١) عيون الأثر ٢/٣٣٤. ٣٣٧

قال الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) رحمه الله :»..كتب رسول الله ﷺ إِلَى كِسْرَى، وَبَعَثَ الْكِتَابَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمَجُوسِ.

فَمَزَّقَ كِتَابَ رسول الله ﷺ:» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: مُزِّقَ مُلْكُهُ» (١)

وقد تباين تعامل الملوك مع هذه الرسائل، فأما هرقل والنجاشي والمقوقس، فتأدبوا وتلطفوا في جوابهم، وأكرم النجاشي والمقوقس رسل رسول الله ﷺ وأرسل المقوقس هدايا إلى رسول الله ﷺ

قال الإمام البخاري :» حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ صَالِحٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بِكِتَابِهِ رَجُلاً ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى ، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ . فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ قَالَ فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ»(٢)

وقد وقع ما دعا به رسول الله ﷺ :».. قوله أن يمزقوا كل ممزق بفتح الزاي أي يتفرقوا ويتقطعوا وفي حديث عبد الله بن حذافة فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال اللهم مزق ملكه وكتب إلى باذان عامله على اليمن ابعث من عندك رجلين إلى هذا الرجل الذي بالحجاز فكتب باذان إلى النبي ﷺ فقال أبلغا صاحبكما أن ربي قتل ربه في هذه الليلة قال وكان ذلك ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الأولى سنة سبع وإن الله سلط عليه ابنه شيرويه فقتله..» (٣)

٩.كتاب فرض الصدقة الذي كُتب بأمر من النبي ﷺ ففي سنن أبي داود عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كِتَابَ الصَّدَقَةِ فَلَمْ يُخْرِجْهُ إِلَى عُمَّالِهِ حَتَّى قُبِضَ فَقَرَنَهُ بِسَيْفِهِ فَعَمِلَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى قُبِضَ ثُمَّ عَمِلَ بِهِ عُمَرُ حَتَّى قُبِضَ فَكَانَ فِيهِ...(٤).

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٦٥٤.

(٢) باب مَا يُذْكَرُ فِي الْمُنَاوَلَةِ وَكِتَابِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْعِلْمِ إِلَى الْبُلْدَانِ .الحديث رقم : ٦٤.

(٣) فتح الباري ٨/١٢٧.

(٤) - راجع في هذا الخبر حديثا أخرجه أبو داود في سننه (برقم ١٥٦٨) ومجموع روايات هذا الكتاب موزعة

١٠. كتابة خطبة فتح مكة لأبي شاه .

قال الإمام البخاري :» حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ حَدَّثَنَا الأوزاعي قَالَ حدثني يَحْيَى بْنُ أَبِى كَثِيرٍ قَالَ حدثني أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ حدثني أَبُو هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ في النَّاسِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ « إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ كَانَ قبلي ، وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، وَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لأَحَدٍ بَعْدِى ، فَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا وَلاَ يُخْتَلَى شَوْكُهَا ، وَلاَ تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلاَّ لِمُنْشِدٍ ، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهْوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ ، إِمَّا أَنْ يُفْدَى ، وَإِمَّا أَنْ يُقِيدَ » . فَقَالَ الْعَبَّاسُ إِلاَّ الإِذْخِرَ ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ لِقُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِلاَّ الإِذْخِرَ » . فَقَامَ أَبُو شَاهٍ - رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ - فَقَالَ اكْتُبُوا لي يَا رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « اكْتُبُوا لأَبِى شَاهٍ » . قُلْتُ للأوزاعي مَا قَوْلُهُ اكْتُبُوا لي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ التي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.»[١]

١١. كتاب سعد بن عبادة [٢]

قال الإمام الترمذي :» حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حدثني رَبِيعَةُ بْنُ أَبِى عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِى صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ الْوَاحِدِ.

قَالَ رَبِيعَةُ وأخبرني ابْنٌ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ قَالَ وَجَدْنَا في كِتَابِ سَعْدٍ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَضَى بِالْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ.[٣]

في البخاري ومسلم وغيرهما.

(١) صحيح البخاري. باب كَيْفَ تُعَرَّفُ لُقَطَةُ أَهْلِ مَكَّةَ. الحديث رقم : ٢٤٣٤.

(٢) سعد بن عبادة الساعدي الخزرجي الأنصاري أبو ثابت، وقيل أبو قيس. من أكرم بيوت العرب وأعرقها نسبًا، وهو زعيم الخزرج قبل الإسلام. صحابي أسلم مبكراً، وشهد بيعة العقبة، وعاش إلى جوار الرسول محمد،. وقال ابن عبد البر تخلف سعد عن بيعة أبي بكبر الصديق وخرج عن المدينة فمات بحوران من أرض الشام سنة «١٥» وقيل سنة «١٤» وقيل سنة «١١»

(٣) جامع الترمذي باب مَا جَاءَ فِي الْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ. الحديث رقم : ١٣٩٥.

١٢. الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص .

هو عبد اللّه بن عَمْرو بن العاص ابن وَائِل بن هاشم بن سُعَيد بن سَهْم .. القرشيّ السّهمي ... أسلم قبل أبيه في العام السابع الهجري.. قال رضي الله عنه: اسْتَأذَنْتُ النبيّ، ﷺ في كتابة ما سمعتُه منه، قال فأذن لي فكتبتُه. فكان عبد الله يُسَمِّى صحيفتَه تلك الصادقةَ.. عن مُجاهد، قال: رأيتُ عند عبد الله بن عَمْرو صَحِيفَةً فسألتُه عنها فقال: هذه الصادقة، فيها ما سمعتُ من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه فيها أَحَدٌ.. توفى عبد الله بن عمرو بن العاص بالشأم سنة خمس وستّين وهو يومئذٍ ابن اثنتين وسبعين سنة، وقد روى عن أبي بكر وعمر..» [١]إلى غيرها من المدونات الحديثية [٢] التي شهدتها المرحلة المدنية من تاريخ الحديث النبوي .

وبعد فهذه قائمة جامعة لأهم ما وصلنا من مدونات في الحديث النبوي في المرحلة المدنية من تاريخ العلم . دالة بكثرتها وتنوعها واختلاف مضامينها التعبدية والتشريعية والتنظيمية والسياسية والدبلوماسية على تطور هائل في سياق تدوين الحديث النبوي في هذه المرحلة .

وللإشارة فحين نتكلم عن المرحلة المدنية من تاريخ الحديث النبوي فإننا نتكلم عن عصر تقاطع في العهد النبوي بعهد الصحابة الكرام تقاطع أخذ ونقل وتبليغ ورواية.

ولا يبقى بعد استعراض هذا الكم المتنوع والمتعدد من مدونات مكتوبة في الحديث النبوي في المرحلة المدنية إلا أن نوجه حديث النهي عن كتابة الحديث المروي في الصحيح عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه»[٣]. على وجهين : أولهما : الجمع بينه وبين وجود الكتابة في هذه المرحلة بأن نقول أن النهي كان مرحليا و مؤقتا و محدودا . ثانيهما : القول بأنه منسوخ بحديث :» اكتبوا لأبي

---

(١) الطبقات الكبرى ٥/٨٥. ٩٠. و تقييد العلم ص: ٨٤.

(٢) قلت : من المدونات التي شهدتها هذه المرحلة : كتاب سعد بن عبادة(جامع الترمذي باب مَا جَاءَ فِي الْيَمِينِ مَعَ الشَّاهِدِ. الحديث رقم : ١٣٩٥.) كتاب ابن أبي أوفى (كتاب الجهاد باب الصبر عند القتال الحديث رقم : ٢٨٣٣.) ألواح عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (الطبقات الكبرى ٢/٣٢٠.) ما كتبه أنس بن مالك (ت٩٣هـ) رضي الله عنه وعرضه على رسول ﷺ. كتاب رسول الله ﷺ لرعية السحيمي(مسند الإمام احمد حديث رعية الرواية رقم : ٢٣١٢٩ كتاب رسول الله ﷺ إلى بَنِى زُهَيْرِ بْنِ أُقَيْشٍ (كتاب السنن باب ما جاء في سهم الصفي الحديث رقم : ٣٠٠١)

(٣) - كتاب الزهد من صحيح مسلم (٧٢- ٣٠٠٤).

شاه « وهذا ما ذهب إليه الأكثرون..[1]

رابعا. تدوين الحديث النبوي في عصر الصحابة والتابعين .

استمرت وتيرة كتابة الحديث النبوي وتدوينه بشكل متتال ومتتابع بعد عصر النبوة محافظة على نقل الحديث النبوي ومؤمنة نقله على امتداد طبقات الرواة. ومن أبرز ما كُتب في هذه المرحلة أذكر :

- المكاتبات بين أبي الدرداء وسلمان الفارسي رضي الله عنهما [2]
- كتاب عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ (ت ٩٦هـ) عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ (ت ٧٦هـ) [3]
- كتابة [4] سعيد بن جبير (ت ٥٩هـ) عن عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ)
- ما كتبه بشير بن نهيك [5] عن أبي هريرة (ت ٥٩هـ)
- كُتب أبي قِلاَبَةَ (ت١٠٤هـ) [6]

و في هذا الطور التاريخي من أطوار الحديث النبوي ظهر في ساحة التدوين العلم البارز محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري (٥٢. ت ١٢٤هـ) قال أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي [7] (ت ٢٧٧هـ) : « حَدَّثَنِي سَلَمَةُ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّزَّاقِ [8] حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ [9] عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ [10]قَالَ: اجْتَمَعْتُ أَنَا وَالزُّهْرِيُّ - وَنَحْنُ نَطْلُبُ الْعِلْمَ- فَقُلْنَا:

---

(١) يراجع فتح الباري ٢٠٨/١.

(٢) الموطأ باب جَامِعِ الْقَضَاءِ وَكَرَاهِيَتِهِ. الحديث رقم : ١٤٦٤و دلائل النبوة ٦٣/٦..

(٣) رواه مسلم في كتاب الإمارة برقم ٤٨١٥ ومما جاء فيه :» عن عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ قَالَ كَتَبْتُ إِلَى جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ مَعَ غلامي نَافِعٍ أَنْ أخبرني بشيء سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَكَتَبَ إِلَي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ جُمُعَةٍ..»

(٤) الطبقات الكبرى ٣٧٥/٨

(٥) سنن الدارمي ٤٧/٢.

(٦) تذكرة الحفاظ ٧٣/١.

(٧) المعرفة والتاريخ ٦٣٧/١.

(٨) المصنف ٢٩٢/١٠.

(٩) أصل النقل في جامع معمر بن راشد ٢٥٨/١١.

(١٠) صالح بن كيسان. الإمام الحافظ الثقة أبو محمد . رأى عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر . وقد قال يحيى بن معين : إنه سمع منهما . وكان عالما ضمه عمر بن عبد العزيز إلى نفسه ، وهو أمير يعني : بالمدينة . (٤٠ – ١٤٠هـ) سير أعلام النبلاء ٤٥٤/٥

نَكْتُبُ السُّنَنَ، فَكَتَبْتُ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. ثُمَّ قَالَ: نَكْتُبُ مَا جَاءَ عَنْ أَصْحَابِهِ فَإِنَّهُ سُنَّةٌ. قَالَ: قُلْتُ أَنَا: لَيْسَ بِسُنَّةٍ فَلَا نَكْتُبُهُ. قَالَ: فَكَتَبَ وَلَمْ أَكْتُبْ فَأَنْجَحَ وَضَيَّعْتُ .»
وعن سَعِيد بْنُ زِيَادٍ مَوْلَى الزُّبَيْرِيِّينَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ شِهَابٍ يُحَدِّثُ سَعْدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ [1] قَالَ: «أَمَرَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِجَمْعِ السُّنَنِ فَكَتَبْنَاهَا دَفْتَرًا دَفْتَرًا، فَبَعَثَ إِلَى كُلِّ أَرْضٍ لَهُ عَلَيْهَا سُلْطَانٌ دَفْتَرًا»[2]

خامسا. استقرار الحديث النبوي في مصادره وأصوله الأولى.

بانتقال الحديث النبوي إلى مرحلة التدوين الرسمي مطلع القرن الهجري الثاني تم التمهيد لظهور أولى مصادر الحديث النبوي من حيث نقله . حيث امتدت جهود علماء الحديث الذين استجابوا لدعوة التدوين الرسمي من أمثال ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) زمانا ومكانا إلى أن ظهرت آثارها في مصادر الحديث النبوي الأولى التي صُنفت أواسط القرن الهجري الثاني . وأذكر منها بصفة خاصة كتاب الإمام مالك (ت ١٧٩هـ) الذي وسمه بالموطإ. ذلكم أن المادة الحديثية لكتابه مروية عن الأعلام الذين انخرطوا في عملية التدوين الرسمي ومؤسسة عليها .

ويعد ابن شهاب الزهري أبرز الشيوخ الذين أخذ عنهم الإمام مالك بن أنس [3] . ومن الشيوخ الأعلام الذين أخذ الإمام مالك أذكر أيضا عمرو بن يحيى المازني [4](ت ١٣٠هـ) وأذكر كذلك يحيى بن سعيد [5] الأنصاري (ت ١٤٤هـ) وغيرهم كثير.

---

(١) سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري روى له الجماعة توفي ١٢٧هـ

(٢) جامع بيان العلم ٣٣١/١

(٣) من مواطن نقل الإمام مالك عنه قوله :» مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الصَّلاَةِ فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلاَةَ ».(باب مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الصَّلاَةِ.. الحديث رقم : ١٥)

(٤) قلت : من مواطن رواية الإمام مالك رحمه الله عنه قوله :» مَالِكٌ عَنْ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ وَهُوَ جَدُّ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى الْمَازِنِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (باب الْعَمَلِ فِى الْوُضُوءِ. الحديث رقم : ٣٣)

(٥) من مواطن روايته عنه رحمهما الله قوله :» مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّهُ قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعِشَاءَ فَقَرَأَ فِيهَا بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ.(باب الْقِرَاءَةِ فِي الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ. الحديث رقم : ١٧٥)

وبتدوين كتاب الموطأ وانتشاره بين المسلمين تمت تغطية مرحلة هامة من تاريخ الحديث النبوي رواية ومهدت لمرحلة قادمة وحاسمة في تاريخ الحديث النبوي .

ويمكن رصد هذا الانتقال والامتداد بين الموطأ والجامع الصحيح للإمام البخاري (١٩٤هـ-٢٥٦هـ)

ذلك أن عددا غير قليل من تلاميذ الإمام مالك والرواة عنه أضحوا هم الشيوخ المباشرون للإمام البخاري .وهم :

١. **إسماعيل بن أبي أويس** [١] **(ت ٢٢٧هـ)**

٢. **عبد الله بن مسلمة القعني** [٢] **(ت ٢٢١هـ)**

٣. **عبد الله بن يوسف** [٣] **التنيسي (٢١٨هـ)**

٤. **أبو عاصم الضحاك البصري** [٤] **(ت ٢١٢)**

٥. **قتيبة بن سعيد** [٥] **(١٥٠ هـ - ٢٤٠ هـ).**

٦. **يحيى بن يحيى** [٦] **النيسابوري ١٤٢. ٢٢٦هـ**

٧. **يحيى بن بُكير** [٧] **القرشي ١٥٤. ٢٣١هـ**

---

(١) قلت : من مواطن النقل عنه قول الإمام البخاري رحمه الله :» حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِى أُوَيْسٍ قَالَ حَدَّثَنِى مَالِكٌ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ..(باب مَتَى يَصِحُّ سَمَاعُ الصَّغِيرِ من كتاب العلم من الجامع الصحيح. رقم الحديث : ٧٦)

(٢) من مواطن رواية الإمام البخاري عنه قوله :» حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ..(باب مِنَ الدِّينِ الْفِرَارُ مِنَ الْفِتَنِ . من كتاب الإيمان من الجامع الصحيح. رقم الحديث : ١٩)

(٣) من مواطن رواية الإمام البخاري عنه قوله : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ..(بدء الوحي من الجامع الصحيح. الحديث رقم : ٢)

(٤) من مواطن النقل عنه قوله :» حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ عَنْ مَالِكٍ عَنْ أَبِى الزِّنَادِ..(باب إِذَا صَلَّى فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ فَلْيَجْعَلْ عَلَى عَاتِقَيْهِ .من الجامع .الحديث رقم : ٣٥٩)

(٥) من مواطن النقل عنه قوله رحمه الله :» حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ..(باب صَلاَةِ الْقَاعِدِ .من الجامع. الحديث رقم : ١١١٣.)

(٦) من مواطن النقل عنه قوله :» حَدَّثَنِى يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ.. (باب إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِوَكِيلِهِ ضَعْهُ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ . وَقَالَ الْوَكِيلُ قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ . الجامع. الحديث رقم : ٢٣١٨.)

(٧) من مواطن النقل عنه قوله رحمه الله :» حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ أَبِى الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ..(باب فَضْلِ الْمَنِيحَةِ .من الجامع. الحديث رقم : ٢٦٢٩)

8. **إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَرْوِيُّ** [1]**(ت ٢٢٦هـ)**

وهكذا استقرت الأحاديث النبوية في مصادرها الأصلية الأولى قاطعة مسارا تاريخيا متسلسلا لا يشوبه انقطاع أو خلل أو عيب يذكر بفضل حلقات الأسانيد وسلاسل الرواة الفاصلة بين مرحلتي صدور الحديث النبوي عن النبي ﷺ واستقراره في مصادره وأصوله الأولى .مسار تميز كما بينا بما يكفي من أدلة بالجمع بين الرواية الشفوية المتقنة والرواية المكتوبة المحررة.

(١) من مواطن النقل عنه قوله رحمه الله :» حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَرْوِيُّ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ نَافِعٍ..(باب قِتَالِ الْيَهُودِ .من الجامع. الحديث رقم : ٢٩٢٥)

الخاتمة

بعد الفراغ من تقرير الحقائق العلمية المتعلقة بتدوين الحديث النبوي تاريخا وتطورا ، يمكن إجمال الخلاصات الأساسية للبحث فيما يأتي :

١. نصوص الوحيين قرآنا وسنة ـ محفوظة بحفظ الله تعالى .قال عز اسما : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر:٩].

٢.حضور التدوين المكتوب للحديث النبوي في المرحلة المكية والمدنية على حد سواء مصاحبا للرواية الشفوية ومعززا لها .

٣.لا وجه للمقارنة بين درجة ودقة حفظ الطبقات الأولى لنصوص الوحي « قرآنا وسنة «وحفظ الناس اليوم .فبينهما ما بينهما من فروق تجعل المقارنة بينهما من باب المستحيل المتعذر المتكلف.

٤. لا يمكن عد حديث النهي عن كتابة الحديث الوارد في عصر النبوة مانعا منعا عاما من كتابة الحديث بل هو مخصوص بمرحلة معينة من تاريخ العلم وموجه توجيها علميا يرفع تعارضه ومخالفته لغيره من الأدلة.

وفي ما قدمناه من مكتوبات ومدونات حديثية يعود تاريخ نشأتها إلى عصر النبوة في طورها المدني الدليل الكافي على أن حديث النهي عن كتابة الحديث لم يكن عاما مستغرقا لكل الحالات .

٥. لا قيمة ولا اعتبار للشبهات المثارة حول تدوين الحديث النبوي لافتقارها إلى الأدلة والحجج المثبتة. بل إن القول بعدم وجود تدوين مكتوب للحديث النبوي قبل ظهور مصادر الحديث الأولى دال على جهل كبير بالوثائق والنصوص الواردة في مصادر المعرفة الشرعية الإسلامية.

وكفى بهذه التقريرات العلمية ردا على شبهة انتقال الحديث النبوي في مراحله التاريخية الأولى بالحفظ في الصدور من غير استناد إلى الحفظ في السطور.

قائمة المصادر المعتمدة في البحث

١. القرآن الكريم برواية ورش.
٢.الإصابة في تمييز الصحابة. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.
٣.أنساب الأشراف . أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت ٢٧٩هـ) تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي. الناشر: دار الفكر – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.
٤. تاج العروس من جواهر القاموس. المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)...الناشر: دار الهداية
٥. تاريخ الرسل والملوك. محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم .الناشر: دار المعارف بمصر. الطبعة: الثانية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.
٦.تذكرة الحفاظ . شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) وضع حواشيه: زكريا عميرات .الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م
٧.تفسير ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب. الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية. الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ
٨.تقييد العلم. أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) الناشر: إحياء السنة النبوية – بيروت.
٩. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ) الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب عام النشر: ١٣٨٧ هـ.
١٠.الجامع الصحيح .أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) الطبعة السلطانية . مصر عام ١٣١١هـ
١١.الجامع . معمر بن راشد (١٥٣هـ) الجامع [مطبوع آخر مصنف عبد الرزاق]المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي .الناشر: المجلس العلمي- الهند، توزيع المكتب الإسلامي –

بيروت. الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ.

١٢.جامع البيان عن تأويل آي القرآن . الطبري . المحقق : أحمد محمد شاكر. الناشر : مؤسسة الرسالة .الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٣.جامع بيان العلم وفضله . ابن عبد البر. المحقق: أبو الأشبال الزهيري. الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

١٤.الروض الأُنف. أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ) المحقق: عمر عبد السلام السلامي. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٥.السنن .الحافظ أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ) المحقق: شعيب الأرناؤوط -: دار الرسالة العالمية. الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٦. السنن الكبرى. أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)المحقق: محمد عبد القادر عطا .الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان. الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١٧ . السيرة النبوية. عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢٣١هـ)تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي .الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر. الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.

١٨.سير أعلام النبلاء .الحافظ الذهبي (ت٧٨٤ هـ)، تحقيق نخبة من العلماء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٩-١٩٨٨.

١٩.الطبقات الكبرى . محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد(ت ٢٣٠هـ)دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

٢٠.العقد الفريد . أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.

٢١.عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (ت ٧٣٤هـ).تعليق: إبراهيم محمد رمضان. الناشر: دار القلم – بيروت.

الطبعة: الأولى، ١٤١٤/١٩٩٣.

٢٢.الفائق في غريب الحديث والأثر. المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)المحقق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: دار المعرفة – لبنان.

٢٣.فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (المتقدم) دار المعرفة، بيروت (د.ت).

٢٤.كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم . التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ) تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم.تحقيق: د. علي دحروج.نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي.الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني.الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت.الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

٢٥.الكليات ـ أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي. دار النشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري

٢٦.لسان العرب لابن منظور الإفريقي (ت٧١١ هـ) دار صادر، بيروت.

٢٧.المسند الصحيح الإمام مسلم بن الحجاج (ت٢٦١ هـ) دار الكتب العلمية (ومعه شرح النووي).

٢٨.المستدرك على الصحيحين. المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري

دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤١١ -١٩٩٠.

٢٩.مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت ٢٥٥ هـ)تحقيق: حسين سليم أسد الداراني [ت ١٤٤٣ هـ]

الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية. الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م

٣٠.المعرفة والتاريخ. أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٢٧٧ هـ)المحقق: أكرم ضياء العمري

إصدار: رئاسة ديوان الأوقاف، بالجمهورية العراقية. الناشر: مطبعة الإرشاد – بغداد

.الطبعة: [الأولى للمحقق] ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٤ م.

٣١.المصنف.المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات - دار التأصيل .دار التأصيل. الطبعة: الثانية، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٣ م

٣٢.مطالع الأنوار على صحاح الآثار. المؤلف: إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (ت ٥٦٩هـ)تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث. الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر. الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

٣٣.موطأ الإمام مالك. المؤلف : مالك بن أنس أبو عبدا لله الأصبحي. الناشر : دار إحياء التراث العربي – مصر. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٤.النهاية في غريب الحديث والأثر. المؤلف : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. الناشر : المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.